القول في قوله تعالى: إني جاعل في الأرض خليفة وقوله: وعلم آدم الأسماء كلها

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

تلك الآية الكريمة العظيمة ، وكل ما في القرآن الكريم عظيم . حارت فيها العقول وتعددت فيها الأقوال والاستفهام : كيف علمت الملائكة عليهم السلام بأن بني آدم سوف يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء . وانا ممن حار في ذلك إلى حين ليس ببعيد .وسوف أعرض بعض أقوال المفسرين و أبرزها حول هذا الموضوع .

و مما جاء في كتب التفسير هذا :

تفسير السعدي :

هذه شروح في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك, وأن الله مستخلفه في الأرض. فقالت الملائكة عليهم السلام: { أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا } بالمعاصي { وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } [و]هذا تخصيص بعد تعميم, لبيان [شدة] مفسدة القتل، وهذا بحسب ظنهم (لا حظ قوله ظنهم) أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك, فنزهوا الباري عن ذلك, وعظموه, وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة فقالوا: { وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ } أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، { وَنُقَدِّسُ لَكَ } يحتمل أن معناها : ونقدسك , فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، إنتهى.

تفسير البغوي :

وأراد بهم الملائكة الذين كانوا في الأرض وذلك أن الله تعالى خلق السماء والأرض وخلق الملائكة والجن فأسكن الملائكة السماء وأسكن الجن الأرض فغبروا فعبدوا دهرا طويلا في الأرض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فأفسدوا وقتلوا فبعث الله إليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم من الجنة رأسهم إبليس وكان رئيسهم ومرشدهم وأكثرهم علما فهبطوا إلى الأرض فطردوا الجن إلى شعوب الجبال (وبطون الأودية) وجزائر البحور وسكنوا الأرض وخفف الله عنهم العبادة فأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة فدخله العجب فقال في نفسه ما أعطاني الله هذا الملك إلا لأني أكرم الملائكة عليه فقال الله تعالى له ولجنده : (إني جاعل) خالق . (في الأرض خليفة) أي بدلا منكم ورافعكم إلي فكرهوا ذلك لأنهم كانوا أهون

الملائكة عبادة والمراد بالخليفة هاهنا آدم سماه خليفة لأنه خلف الجن أي جاء بعدهم وقيل لأنه يخلفه غيره والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) بالمعاصي . (ويسفك الدماء) بغير حق أي كما فعل بنو الجان (فقاسوا الشاهد على الغائب) وإلا فهم ما كانوا يعلمون الغيب. اه

تفسير ابن كثير :
(إني جاعل في الأرض خليفة) أي : قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل ، كما قال تعالى : (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) والظاهر أنه لم يرد آدم عينا إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك ،(وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص ، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صلصال من حمإ مسنون [أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس فيما يقع بينهم من المظالم ، ويرد عنهم المحارم والمآثم ، قاله القرطبي] أو أنهم قاسوهم). اه

تفسير القرطبي :
أورد رحمه الله تعالى في معنى هذه الآية سبعة عشرمسألة منها : إني جاعل في الأرض خليفة جاعل هنا بمعنى خالق ، ذكره الطبري عن أبي روق ، ويقضي بذلك تعديها إلى مفعول واحد ، وقد تقدم (أي آدم عليه السلام). والأرض قيل إنها مكة.ومنها : . ويجوز أن يكون " خليفة " بمعنى مفعول أي مخلف كما يقال : ذبيحة بمعنى مفعولة. ومنها كذلك : والمعني بالخليفة هنا - في قول ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل - آدم عليه السلام ، وهو خليفة الله في إمضاء أحكامه وأوامره ; لأنه أول رسول إلى الأرض ، كما في حديث أبي ذر ، قال قلت : يا رسول الله أنبيا كان مرسلا ؟ قال : (نعم) الحديث ويقال : لمن كان رسولا ولم يكن في الأرض أحد ؟ فيقال : كان رسولا إلى ولده ، وكانوا أربعين ولدا في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وأنثى ، وتوالدوا حتى كثروا ، كما قال الله تعالى : خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء . وأنزل عليهم تحريم
الميتة والدم ولحم الخنزير . وعاش تسعمائة وثلاثين سنة ، هكذا ذكر أهل التوراة وروي عن وهب بن منبه أنه عاش ألف سنة ، والله أعلم .ومنها : هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع ، لتجتمع به الكلمة ، وتنفذ به أحكام الخليفة . ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة.

وعن المفسرين المحدثين وبعض العلماء فقد أفاضوا في تأويل قول الملائكة عليهم السلام (أتجعل فيها من يفسد فيها) بمعنى أنهم قدروا واستشفوا من طبيعة خلق آدم

عليه السلام وذريته أن تكون فيهم صفة القيادة والتملك والسلطان مما يقتضي ذلك أن تنشأ بينهم عداواة وبغضاء مردها إلى التنافس فيها. أو كما قال بعضهم دون سند أنهم أي الملائكة اضطلعوا على ما سوف يكون من أفعال بني آدم من اللوح المحفوظ .

أقول على أقوال المفسرين:

فقوله تعالى :(إني جاعل في الأرض خليفة) لم يكن هذا الخطاب حال أمر سبحانه الملائكة بالسجود لآدم، بل هو متأخر كثيراً كان هذا الخطاب بعد خلق آدم وانتشار ذريته في الأرض بزمن طويل ولعل قوله سبحانه وتعالى(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) لعله سبحانه يشير إلى تلك الحقبة من بعد آدم إلى نوح عليه السلام، ولم يكن الخطاب كما فهمناه عند نفخ الروح في آدم و أمره للملائكة بالسجود لآدم إذا سواه ونفخ فيه من روحه. وما قول الملائكة : أتجعل فيها من يفسد ويسفك الدماء ...إلا بعدما شهدت الملائكة حادثة قتل أحد ابني آدم أخاه ظلما وعدواناً، وربما الكثير ممن أعقبهما بعد آدم عليه السلام ومن قبل نوحٍ عليه السلام. فهم لم يستشفوا ولم يتنبأوا بما سيفعله أبناء آدم عليه السلام ، ولم يقرأوا ذلك من اللوح المحفوظ بل شاهدوه عيانا.ولو أن ذلك كان حين أمر الله ملائكته بالسجود لآدم وعلى فرض أنهم كما قيل قد قرأوا في اللوح المحفوظ ما سيفعل بعض ذرية آدم من فساد في الأرض أو أنهم استشفوا ذلك من صفاته لكان الأولى بهم أن يسألوه سبحانه وتعالى (أتأمرنا بالسجود لمن يفسد في الأرض ويسفك الدماء) سواءً هو أو ذريته؟.وهذا أولى من سؤالهم عن الخلافة. ولكنهم سجدوا لما أمرهم الله بالسجود له تعظيما لله وعظمته وقدرته وحكمته.

ومما يؤكد أن استفسار الملائكة عن حكمة الله في جعل خليفة في الأرض هو أن كلمة خليفة هي بمعنى الحاكم الذي يحكم بشريعة الله سبحانه وتعالى وهو المعنى المثبت في القرآن للفظ خليفة ، فقد وردت في كتاب الله تعالى مرتين المرة الأولى هنا في سورة البقرة، والمرة الثانية في سورة ص يكلف الله عزوجل النبي داود بالخلافة كخليفة قائداً وحاكماً بقوله سبحانه(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ)ففي هذه الآية الكريمة يثبت الله عز وجل معنى كلمة خليفة بالحكم بين الناس وليس بالتتابع في الوجود فلها معنى آخر وهو (خلائف) كما وردت الكلمة في أربعة مواضع أخرى.ولا يصح عقلاً أن يساق معنى آخر غير هذا المعنى في سورة البقرة موضع الاستشكال في عقولنا .

وبناء على هذا يكون معنى قوله تعالى : إني جاعل في الأرض خليفة. أي خليفة يحكم بأمر الله ويفصل بين الناس ويقيم العدل والدين كما شرع سبحانه ،،، أي أمر التكليف لآدم أو من هو من بعده بشرع وأوامر : إفعل ولا تفعل .وبهذا يندرج قولي تحت قول

ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وقد ذكره الإمام البغوي بقوله(والصحيح أنه خليفة الله في أرضه لإقامة أحكامه وتنفيذ وصاياه) ولكن إزالة اللبس في التوقيت فلم يكن الأمر عند ما بدأ خلق آدم عليه السلام مما التبس على المفسرين بل والصحيح والله أعلم أن هذا حدث بعد خلق آدم بزمان بعيد جداً حين استقرت البشرية وتكاثرت وتوالدت مما أصبح أمرهم بحاجة للتنظيم والقيادة وفقاً لسنن المولى عز وجل وخاصة بعدما اعتدى أخ على أخيه فقتله وهو لا شك قد كان آمناً من العقوبة في الدنيا فلا عقوبة بغير تشريع، و لا حكم بغير حاكم أي خليفة.

وهذه الآية (إني جاعل في الأرض خليفة) تختلف في معناها وتوقيتها عن الآيات الأخرى التي تشابه هذا المعنى :(إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .)(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) هذه بالتأكيد قبل خلق آدم عليه السلام فهي تتحدث عن الخلق وهناك الحديث عن التكليف والإمامة.

وفي التعقيب على من قال أنه كان في الأرض قبل آدم بشراً أو خلقاً آخر أفسدوا فيها وسفكوا الدماء وهذا ما جعل الملائكة يقولون قولهم ذاك، فهذا قول ليس لدينا من الله تعالى برهان وهو غيب ولا يعلم الغيب إلا هو وربما نقل عمن قبلنا من أهل الكتاب ، وما لم يحدثنا رسول الله بهذا الغيب فلا نأخذ به البتة. إنه لم يكن في الخلق بشراً إلا آدم عليه السلام ، ابتدأ الله به خلق الإنسان و لم يسبقه من فصيله أي مخلوق. وليس أدل على هذا من قصة ابني آدم قال سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر...) إذاً ابني آدم عليه السلام كانا عاقلين مكلفين مؤمنين يقربان لله القرابين، ويعلمون ويؤمنون بأن للكون خالقاً وإله تجب طاعته، وينبغي التقرب إليه، وأنه من يخرج عن طاعته فسوف يذوق عذاب النار.

وهذا الإيمان ليس كالجبلة التي جبلت عليها سائر الخلائق كالأنعام والبهائم وغيرها ، بل هو إيمان يزداد بالقربى والعبادات والقرابين ...وهذا لا يكون إلا في العاقل المكتمل عقله على أتم ما يمكن والعقل هو مناط التكليف. وتؤكد الآية الكريمة بما لا يزيغ عن معناها إلا زائغ أن ابني آدم هما من أوائل البشرية وإن لم يكونا ولديه الأولين ، وذلك بقوله تعالى (فبعث الله غرباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه) أي أنه لم يكن قد شاهد من قبل كيف تدفن الموتى، وكيف توارى الثرى. بمعنى أنه لم يكن لبني آدم خبرة بالموت والدفن ...بمعنى آخر لم يكن للبشرعادة أكل الأموات أو أكل بعضهم البعض, وإلا لكان أكل أخيه؟؟؟ وبمعنى آخرأن هذا حدث في الزمن الأول قريب عهد من آدم عليه السلام ولهذا كان التكليف لآدم بالإمامة ليحكم بين ذريته وأبنائه الذين هم أوائل البشر, وكما قلنا لم يكن لآدم عليه السلام أن يقضي في أمر القاتل دون بيان حكم ذلك من رب العالمين, ولم يكن ليعلم كيف تكون العقوبة التي

يأمر بها الله سبحانه وتعالى ومقدارها. و تؤكد الآية الكريمة، بل وكل كلمة فيها على اكتمال التكوين العقلي والنفسي لإبني آدم على أعلى الدرجات من الوعي والفهم للكون وخالقه وخالقهما والعاقبة والجنة والنار, وأبوهما آدم أولى بالمعرفة واكتمال العقل مناط التكليف ومركز العلم كي يعلمه الله تعالى(وعلم آدم).
قال سبحانه : واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك (أنظر إلى الرد الإيماني الرائع) قال إنما يتقبل الله من المتقين ...لم يقل من المؤمنين ؟ قال المتقين وللتقوى معان لا يعلمها الكثير من الناس في يومنا هذا فكيف من ملايين السنين.
قال سبحانه عن لسان ابن آدم : لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا ببساط يدي لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (أنظر إلى روح الفداء والرضى بقضاء الله خوفاً منه و لمعرفته لعقاب قتل النفس بغير ذنب عند الله تعالى، أي كان لديهم معرفة من الله تعالى تبين عاقبة من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض) عنده في الآخرة.ولكن في الدنيا، لم يكن حينها بيان من كتاب او رسالة تبين أحكام وقانون للعقوبات في الدنيا.
قال سبحانه وتعالى عن لسان ابن آدم : إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار (وهذا يؤكد لنا أن القوم يومها كانوا على علم تام بمراد الرحمن عز وجل منهم و بعاقبة طاعته وعاقبة معصيته وبعلم بأن القاتل سوف يذهب حاملاً آثامه وأثام قتيله ، وأن هنالك جنة ونار ...فكيف يقال بعدها أن البشركانوا كالقرود المتوحشة ينزو بعضهم على بعض و يأكل بعضهم بعضاً ثم تطوروا حتى اكتمل التحول من الوحشية إلى الآدمية فجاء التكليف بعدها بآدم عليه السلام ....؟ إنه كمن يحشو كرة الحديد بالقطن المنفوش .
والله أعلم .

وعلم آدم الأسماء كلها

أقوال العلماء والمفسرين :

تفسير السعدي :

أراد الله تعالى, أن يبين لهم من فضل آدم, ما يعرفون به فضله, وكمال حكمة الله وعلمه فـ { عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا } أي: أسماء الأشياء, وما هو مسمى بها، فعلمه الاسم والمسمى, أي: الألفاظ والمعاني, حتى المكبر من الأسماء كالقصعة، والمصغر كالقصيعة. { ثُمَّ عَرَضَهُمْ } أي: عرض المسميات { عَلَى الْمَلَائِكَةِ } امتحانا لهم, هل يعرفونها أم لا؟. { فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } في قولكم وظنكم, أنكم أفضل من هذا الخليفة.

في تفسير البغوي:

قوله: {وعلم آدم الأسماء كلها} سمي آدم لأنه خلق أديم الأرض، وقيل: لأنه كان آدم اللون وكنيته أبو محمد وأبو البشر فلما خلقه الله تعالى علمه أسماء الأشياء وذلك أن الملائكة قالوا: لما قال الله تعالى: {إني جاعل في الأرض خليفة}: ليخلق ربنا ما شاء فلن يخلق خلقاً أكرم عليه منا وإن كان فنحن أعلم منه لأنا خلقنا قبله ورأينا ما لم يره.فأظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلاً كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة.قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: "علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة"وقيل: اسم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.وقال الربيع بن أنس: "أسماء الملائكة".وقيل: أسماء ذريته، وقيل: صنعة كل شيء.قال أهل التأويل: إن الله عز وجل علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة فتفرقوا في البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة.{ثم عرضهم على الملائكة} إنما قال عرضهم ولم يقل عرضها لأن المسميات إذا جمعت من يعقل ومالا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والإناث بلفظ الذكور.وقال مقاتل: "خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة فالكناية راجعة إلى الشخوص فلذلك قال عرضهم".{فقال أنبئوني} أخبروني {بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين} في أني لا أخلق خلقاً إلا وكنتم أفضل وأعلم منه.فقالت الملائكة إقراراً بالعجز:

وفي تفسير ابن كثير:
هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة ، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له ، وإنما قدم هذا الفصل على ذاك ، لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة ، حين سألوا عن ذلك ، فأخبرهم [الله] تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون ؛ ولهذا ذكر تعالى هذا المقام عقيب هذا ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم ، فقال تعالى : (وعلم آدم الأسماء كلها)
وقال السدي ، عمن حدثه ، عن ابن عباس : (وعلم آدم الأسماء كلها) قال : عرض عليه أسماء ولده إنسانا إنسانا ، والدواب ، فقيل : هذا الحمار ، هذا الجمل ، هذا الفرس .
وقال الضحاك عن ابن عباس : (وعلم آدم الأسماء كلها) قال : هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وسماء ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجمل ، وحمار ، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها .
وروى ابن أبي حاتم وابن جرير ، من حديث عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس : (وعلم آدم الأسماء كلها) قال : علمه اسم الصحفة والقدر ، قال : نعم حتى الفسوة والفسية .
وقال مجاهد : (وعلم آدم الأسماء كلها) قال : علمه اسم كل دابة ، وكل طير ، وكل شيء .
وكذلك روي عن سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من السلف : أنه علمه أسماء كل شيء ، وقال الربيع في رواية عنه : أسماء الملائكة . وقال حميد الشامي : أسماء النجوم . وقال عبد الرحمن بن زيد : علمه أسماء ذريته كلهم .
واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية ؛ لأنه قال : (ثم عرضهم) وهذا عبارة عما يعقل . وهذا الذي رجح به ليس بلازم ، فإنه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم ، ويعبر عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب . كما قال : (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير) [النور : 45] .

[وقد قرأ عبد الله بن مسعود : ثم عرضهن وقرأ أبي بن كعب : ثم عرضها أي : السماوات] .
والصحيح أنه علمه أسماء الأشياء كلها : ذواتها وأفعالها ؛ كما قال ابن عباس حتى الفسوة والفسية . يعني أسماء الذوات والأفعال ، المكبر والمصغر ؛ ولهذا قال البخاري في تفسير هذه الآية من كتاب التفسير من صحيحه : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا مسلم ، حدثنا هشام ، حدثنا قتادة ، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال لي خليفة : حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا سعيد ، عن قتادة عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال - : يجتمع المؤمنون يوم القيامة ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ؟ فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر ذنبه فيستحيي ؛ ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، فيأتونه فيقول : لست هناكم . ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي . فيقول : ائتوا خليل الرحمن ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ؛ فيقول : ائتوا موسى عبدا كلمه الله ، وأعطاه التوراة ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ، ويذكر قتل النفس بغير نفس ، فيستحيي من ربه ؛ فيقول : ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه ، فيأتونه ، فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني ، فأنطلق حتى أستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأحمده بتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود إليه ، وإذا رأيت ربي مثله ، ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ، ثم أعود الرابعة فأقول : ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود .
هكذا ساق البخاري هذا الحديث هاهنا . وقد رواه مسلم والنسائي من حديث هشام ، وهو ابن أبي عبد الله الدستوائي ، عن قتادة ، به . وأخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث سعيد ، وهو ابن أبي عروبة ، عن قتادة . ووجه إيراده هاهنا والمقصود منه قوله عليه الصلاة والسلام : فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فدل هذا على أنه علمه أسماء جميع المخلوقات ؛ ولهذا قال : (ثم عرضهم على الملائكة) يعني : المسميات ؛ كما قال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة قال : ثم عرض تلك الأسماء على الملائكة (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين)
وقال السدي في تفسيره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : (وعلم آدم الأسماء كلها) ثم عرض الخلق على الملائكة .
وقال ابن جريج ، عن مجاهد : (ثم عرضهم) عرض أصحاب الأسماء على الملائكة .
وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني الحجاج ، عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة ، عن الحسن - وأبي بكر ، عن الحسن وقتادة - قالا علمه اسم كل شيء ، وجعل يسمي كل شيء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة .
وبهذا الإسناد عن الحسن وقتادة في قوله : (إن كنتم صادقين) إني لم أخلق خلقا إلا كنتم أعلم منه ، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين .
وقال الضحاك عن ابن عباس : (إن كنتم صادقين) إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة .
وقال السدي ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من الصحابة : إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء .
وقال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عباس ومن قال بقوله ، ومعنى ذلك فقال : أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيها الملائكة القائلون : أتجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك

الدماء ، من غيرنا أم منا ، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ إن كنتم صادقين في قيلكم : إني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني ذريته وأفسدوا وسفكوا الدماء ، وإن جعلتكم فيها أطعتموني واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس ، فإذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم ، فأنتم بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد أحرى أن تكونوا غير عالمين .

وفي تفسير القرطبي:
قوله تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيه سبع مسائل :
الأولى : قوله تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها علم عرف . وتعليمه هنا إلهام علمه ضرورة . ويحتمل أن يكون بواسطة ملك وهو جبريل عليه السلام على ما يأتي . وقرئ : " وعلم " غير مسمى الفاعل . والأول أظهر ، على ما يأتي . قال علماء الصوفية : علمها بتعليم الحق إياه وحفظها بحفظه عليه ونسي ما عهد إليه ، لأن وكله فيه إلى نفسه فقال : ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما . وقال ابن عطاء : لو لم يكشف لآدم علم تلك الأسماء لكان أعجز من الملائكة في الإخبار عنها . وهذا واضح .
وآدم عليه السلام يكنى أبا البشر . وقيل : أبا محمد ، كني بمحمد خاتم الأنبياء صلوات الله عليهم ، قاله السهيلي . وقيل : كنيته في الجنة أبو محمد ، وفي الأرض أبو البشر . وأصله بهمزتين ; لأنه أفعل إلا أنهم لينوا الثانية ، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واوا فقلت : أوادم في الجمع لأنه ليس لها أصل في الياء معروف ، فجعلت الغالب عليها الواو ، عن الأخفش .
واختلف في اشتقاقه ، فقيل : هو مشتق من أدمة الأرض وأديمها وهو وجهها ، فسمي بما خلق منه ، قال ابن عباس . وقيل : إنه مشتق من الأدمة وهي السمرة . واختلفوا في الأدمة ، فزعم الضحاك أنها السمرة ، وزعم النضر أنها البياض ، وأن آدم عليه السلام كان أبيض ، مأخوذ من قولهم : ناقة أدماء ، إذا كانت بيضاء . وعلى هذا الاشتقاق جمعه أدم وأوادم ، كحمر وأحامر ، ولا ينصرف بوجه . وعلى أنه مشتق من الأدمة جمعه آدمون ، ويلزم قائلو هذه المقالة صرفه .
قلت:(قول القرطبي) الصحيح أنه مشتق من أديم الأرض . قال سعيد بن جبير : إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ، وإنما سمي إنسانا لأنه نسي، ذكره ابن سعد في الطبقات . وروى السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود في قصة خلق آدم عليه السلام قال : فبعث الله جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها ، فقالت الأرض : أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني ، فرجع ولم يأخذ وقال : يا رب إنها عاذت بك فأعذتها . فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها ، فرجع فقال كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره . فأخذ من وجه الأرض وخلط ، ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين - ولذلك سمي آدم لأنه أخذ من أديم الأرض - فصعد به ، فقال الله تعالى له : أما رحمت الأرض حين تضرعت إليك فقال : رأيت أمرك أوجب من قولها . فقال : أنت تصلح لقبض أرواح ولده " فبل التراب حتى عاد طينا لازبا ، اللازب : هو الذي يلتصق بعضه ببعض ، ثم ترك حتى أنتن ، فذلك حيث يقول : من حمإ مسنون قال : منتن . ثم قال للملائكة : إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه يقول : أتتكبر عما خلقت بيدي ولم أتكبر أنا عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ،

فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعا إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : من صلصال كالفخار . ويقول لأمر ما خلقت . ودخل من فمه وخرج من دبره ، فقال إبليس للملائكة : لا ترهبوا من هذا فإنه أجوف ولئن سلطت عليه لأهلكنه . ويقال : إنه كان إذا مر عليه مع الملائكة يقول : أرأيتم هذا الذي لم تروا من الخلائق يشبهه إن فضل عليكم وأمرتم بطاعته ما أنتم فاعلون قالوا : نطيع أمر ربنا فأسر إبليس في نفسه لئن فضل علي فلا أطيعه ، ولئن فضلت عليه لأهلكنه ، فلما بلغ الحين الذي أريد أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس ، فقالت له الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله له : رحمك ربك ، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن يبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : خلق الإنسان من عجل
فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين وذكر القصة . وروى الترمذي عن أبي موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . أدم : جمع أدم ، قال الشاعر :
الناس أخياف وشتى في الشيم وكلهم يجمعهم وجه الأدم فآدم مشتق من الأديم والأدم لا من الأدمة ، والله أعلم . ويحتمل أن يكون منهما جميعا . وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان في خلق آدم في " الأنعام " وغيرها إن شاء الله تعالى .و " آدم " لا ينصرف . قال أبو جعفر النحاس : " آدم لا ينصرف في المعرفة بإجماع النحويين ، لأنه على أفعل وهو معرفة ، ولا يمتنع شيء من الصرف عند البصريين إلا لعلتين . فإن نكرته ولم يكن نعتا لم يصرفه الخليل وسيبويه ، وصرفه الأخفش سعيد ; لأنه كان نعتا وهو على وزن الفعل ، فإذا لم يكن نعتا صرفه . قال أبو إسحاق الزجاج : القول قول سيبويه ، ولا يفرق بين النعت وغيره لأنه هو ذاك بعينه " .

الثانية : قوله تعالى الأسماء كلها " الأسماء " هنا بمعنى العبارات ، فإن الاسم قد يطلق ويراد به المسمى ، كقولك : زيد قائم ، والأسد شجاع . وقد يراد به التسمية ذاتها ، كقولك : أسد ثلاثة أحرف ، ففي الأول يقال : الاسم هو المسمى بمعنى يراد به المسمى ، وفي الثاني لا يراد المسمى ، وقد يجري اسم في اللغة مجرى ذات العبارة ، وهو الأكثر من استعمالها ، ومنه قوله تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها على أشهر التأويلات ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : إن لله تسعة وتسعين اسما . ويجري مجرى الذات ، يقال : ذات ونفس وعين واسم بمعنى ، وعلى هذا حمل أكثر أهل العلم قوله تعالى : سبح اسم ربك الأعلى تبارك اسم ربك إن هي إلا أسماء سميتموها .

الثالثة : واختلف أهل التأويل في معنى الأسماء التي علمها لآدم عليه السلام ، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير : علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها . وروى عاصم بن كليب عن سعد مولى الحسن بن علي قال : كنت جالسا عند ابن عباس فذكروا اسم الآنية واسم السوط ، قال ابن عباس : وعلم آدم الأسماء كلها .
قلت : وقد روي هذا المعنى مرفوعا على ما يأتي ، وهو الذي يقتضيه لفظ " كلها " إذ هو اسم موضوع للإحاطة والعموم ، وفي البخاري من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء الحديث . قال ابن خويز منداد : في هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفا ، وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلا .
وكذلك قال ابن عباس : علمه أسماء كل شيء حتى الجفنة والمحلب .
وروى شيبان عن قتادة قال : علم آدم من الأسماء أسماء خلقه ما لم يعلم الملائكة ، وسمى كل شيء باسمه وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه . قال النحاس : وهذا أحسن ما روي في هذا .
والمعنى : علمه أسماء الأجناس وعرفه منافعها ، هذا كذا ، وهو يصلح لكذا . وقال الطبري : علمه أسماء الملائكة وذريته ، واختار هذا ورجحه بقوله : ثم عرضهم على الملائكة
وقال ابن زيد : علمه أسماء ذريته ، كلهم .
الربيع بن خثيم : أسماء الملائكة خاصة .
القتي : أسماء ما خلق في الأرض . وقيل : أسماء الأجناس والأنواع .
قلت: القول الأول أصح ، لما ذكرناه آنفا ولما نبينه إن شاء الله تعالى .

الرابعة : واختلف المتأولون أيضا هل عرض على الملائكة أسماء الأشخاص أو الأسماء دون الأشخاص ، فقال ابن مسعود وغيره : عرض الأشخاص لقوله تعالى : عرضهم وقوله : أنبئوني بأسماء هؤلاء . وتقول العرب : عرضت الشيء فأعرض ، أي أظهرته فظهر . ومنه : عرضت الشيء للبيع . وفي الحديث (إنه عرضهم أمثال الذر) . وقال ابن عباس وغيره : عرض الأسماء . وفي حرف ابن مسعود : " عرضهن " ، فأعاد على الأسماء دون الأشخاص ; لأن الهاء والنون أخص بالمؤنث . وفي حرف أبي : " عرضها " .
مجاهد : أصحاب الأسماء . فمن قال في الأسماء إنها التسميات فاستقام على قراءة أبي : " عرضها " . وتقول في قراءة من قرأ عرضهم : إن لفظ الأسماء يدل على أشخاص ، فلذلك ساغ أن يقال للأسماء : عرضهم . وقال في هؤلاء : المراد بالإشارة : إلى أشخاص الأسماء ، لكن وإن كانت غائبة فقد حضر ما هو منها بسبب وذلك أسماؤها . قال ابن عطية : والذي يظهر أن الله تعالى علم آدم الأسماء وعرضهن عليه مع تلك الأجناس بأشخاصها ، ثم عرض تلك على الملائكة وسألهم عن تسمياتها التي قد تعلمها ، ثم إن آدم قال لهم : هذا اسمه كذا ، وهذا اسمه كذا . وقال الماوردي : وكان الأصح توجه العرض إلى المسمين . ثم في زمن عرضهم قولان : أحدهما أنه عرضهم بعد أن خلقهم . الثاني - أنه صورهم لقلوب الملائكة ثم عرضهم .

الخامسة : واختلف في أول من تكلم باللسان العربي ، فروي عن كعب الأحبار : أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها بالألسنة كلها آدم عليه السلام . وقاله غير كعب الأحبار .
فإن قيل : قد روي عن كعب الأحبار من وجه حسن قال : أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي ألقاها على لسان نوح عليه السلام وألقاها نوح على لسان ابنه سام ، ورواه ثور بن زيد عن خالد بن معدان عن كعب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن عشر سنين) . وقد روي أيضا : أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان ، وقد روي غير ذلك . قلنا : الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام ، والقرآن يشهد له قال الله تعالى : وعلم آدم الأسماء كلها واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته وبهذا جاءت السنة ، قال صلى الله عليه وسلم :(وعلم آدم الأسماء كلها

حتى القصعة والقصيعة) وما ذكروه يحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام . وكذلك إن صح ما سواه فإنه يكون محمولا على أن المذكور أول من تكلم من قبيلته بالعربية بدليل ما ذكرنا والله أعلم . وكذلك جبريل أول من تكلم بها من الملائكة وألقاها على لسان نوح بعد أن علمها الله آدم أو جبريل ، على ما تقدم ، والله أعلم .
قوله تعالى : " هؤلاء " لفظ مبني على الكسر . ولغة تميم وبعض قيس وأسد فيه القصر ، قال الأعشى :
هؤلا ثم هؤلا كلا أعطيت نعالا محذوة بمثال
ومن العرب من يقول : هولاء ، فيحذف الألف والهمزة .

السادسة : قوله تعالى : إن كنتم صادقين شرط ، والجواب محذوف تقديره : إن كنتم صادقين أن بني آدم يفسدون في الأرض فأنبئوني ، قاله المبرد . ومعنى صادقين عالمين ، ولذلك لم يسغ للملائكة الاجتهاد ، وقالوا : سبحانك حكاه النقاش قال : ولو لم يشترط عليهم إلا الصدق في الإنباء لجاز لهم الاجتهاد كما جاز للذي أماته الله مائة عام حين قال له : كم لبثت ، فلم يشترط عليه الإصابة ، فقال ولم يصب ولم يعنف ، وهذا بين لا خفاء فيه . وحكى الطبري وأبو عبيد : أن بعض المفسرين قال إن معنى إن كنتم : إذ كنتم ، وقالا : هذا خطأ . وأنبئوني معناه أخبروني . والنبأ : الخبر ، ومنه النبيء بالهمز ، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

السابعة : قال بعض العلماء : يخرج من هذا الأمر بالإنباء تكليف ما لا يطاق لأنه علم أنهم لا يعلمون . وقال المحققون من أهل التأويل : ليس هذا على جهة التكليف ، وإنما هو على جهة التقرير والتوقيف . وسيأتي القول في تكليف ما لا يطاق - هل وقع التكليف به أم لا - في آخر السورة إن شاء الله تعالى .

وفي تفسير الطبري:
القول في تأويل قوله تعالى ذكره: وَعَلَّمَ آدَمَ
640- حدثنا محمد بن جرير, قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُمّي, عن جعفر بن أبي المغيرة, عن سعيد بن جُبير, عن ابن عباس، قال: بعث ربُّ العزة مَلَكَ الموت فأخذ من أديم الأرض، من عذْبها ومالحها, فخلق منه آدم. ومن ثَمَّ سُمي آدم. لأنه خُلق من أديم الأرض (97) .
641- وحدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد الزبيري, قال: حدثنا عمرو بن ثابت, عن أبيه, عن جده, عن علي، قال: إن آدم خُلق من أديم الأرض، فيه الطيّب والصالح والرديء, فكل ذلك أنت راءٍ في ولده، الصالح والرديء (98) .
642- وحدثنا أحمد بن إسحاق, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا مِسعر, عن أبي حَصين, عن سعيد بن جُبير, قال: خُلق آدم من أديم الأرض، فسمِّي آدم.
643- وحدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير، قال: إنما سمي آدمَ لأنه خلق من أديم الأرض (99) .
644- وحدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط، عن السُّدّيّ في خبر ذكره, عن أبي مالك, وعن أبي صالح, عن ابن عباس - وعن مُرَّة, عن ابن مسعود, وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أنّ ملك الموت لما بُعث ليأخذ من الأرض تربة آدم, أخذ

من وجه الأرض وخلط فلم يأخذ من مكان واحد, وأخذ من تربة حمراء وبيضاءَ وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين. ولذلك سُمي آدم, لأنه أخذ من أديم الأرض (100) .
وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يحقق ما قال مَن حكينا قوله في معنى آدم . وذلك:
645- حدثني به يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَيَّة, عن عوف -وحدثنا محمد بن بشار ، وعمر بن شَبَة- قالا حدثنا يحيى بن سعيد -قال: حدثنا عوف- وحدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عدي، ومحمد بن جعفر، وعبد الوهاب الثقفي، قالوا: حدثنا عوف -وحدثني محمد بن عمارة الأسدي, قال: حدثنا إسماعيل بن أبان, قال: حدثنا عنبسة- عن عوف الأعرابي, عن قَسامَة بن زُهير, عن أبي موسى الأشعري, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ الله خلق آدم من قَبضة قَبضها من جميع الأرض , فجاء بنو آدم على قَدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك، والسهلُ والحَزْن، والخبيث والطيب (101) .
فعلى التأويل الذي تأول "آدم " من تأوله، بمعنى أنه خُلق من أديم الأرض, يجب أن يكون أصْل "آدم " فعلا سُمي به أبو البشر, كما سمي" أحمد " بالفعل من الإحماد , و " أسعد " من الإسعاد , فلذلك لم يُجَرّ. ويكون تأويله حينئذ: آدمَ المَلكُ الأرضَ, يعني به بلغ أدمتها -وأدَمتها: وجهها الظاهر لرأي العين, كما أنّ جلدة كل ذي جلدة له أدَمة. ومن ذلك سُمي الإدام إدَامًا, لأنه صار كالجلدة العليا مما هي منه- ثم نقل من الفعل فجعل اسمًا للشخص بعينه.

القول في تأويل قوله تعالى: الأَسْمَاءَ كُلَّهَا
قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في الأسماء التي علمها آدمَ ثم عَرضها على الملائكة، فقال ابن عباس :
646- حدثنا به أبو كريب, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا بشر بن عمارة, عن أبي روق, عن الضحاك, عن ابن عباس, قال: علم الله آدم الأسماء كلها, وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسانٌ ودابة, وأرض وَسهل وبحر وجبل وحمار, وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. (102) .
647- وحدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثني عيسى، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد - وحدثني المثنى, قال: حدثنا أبو حذيفة, قال: حدثنا شِبْل, عن ابن أبي نَجيح, عن مجاهد، في قول الله: " وعلم آدم الأسماء كلها "، قال: علمه اسم كل شيء.
648- وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سفيان, عن خُصيف, عن مجاهد: " وعلم آدم الأسماء كلها "، قال: علمه اسم كل شيء (103) .
649- وحدثنا علي بن الحسن, قال: حدثنا مسلم الجَرمي, عن محمد بن مصعب, عن قيس بن الربيع, عن خُصيف, عن مجاهد, قال: علمه اسم الغراب والحمامة واسم كل شيء (104) .
650- وحدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن شَريك, عن سالم الأفطس, عن سعيد بن جبير, قال: علمه اسمَ كل شيء, حتى البعير والبقرة والشاة.

أقول على ما جاء في التفسير بخصوص قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها):
مما سبق عرضه من أقوال المفسرين والعلماء والأئمة في هذا الباب لا أراه إلا رأياً أو نقلاً عمن سبقنا من أهل الكتاب لا برهان له أو دليل مرجح بين رأي وآخر، ولا أراه يتناسب مع الموقف العظيم، ولا يظهر حكمة الله سبحانه من قضائه، حين أخبر الله سبحانه وتعالى ملائكته بأنه

سبحانه قد جعل في الأرض خليفة، مع ما سألوا عنه ليتبينوا حكمة الحكيم العليم، وقد أوردت رأي في أمر الخليفة آنفاً، وهنا أضع رأي على مائدة النقد والتقدير في مسألة الأسماء.
أولاً: أبدأ بالخلاصة ثم أعود إلى تفصيل الإستدلال : فخلاصة رأي وقد ألمح إليه الإمام البغوي وغيره ممن قيل عنهم وقيل وقالوا وقيل أن الله سبحانه وتعالى علم آدم أسماء ذريته كلها وهذا ليس فيه رد شاف على استفهام الملائكة عن الحكمة في جعله سبحانه وتعالى خليفة في الأرض ، أو ببيان حكمته سبحانه في جعل خليفة في الأرض على ما لم تعلمه الملائكة من حكمته، فلم يكن استشكال الملائكة عن ميزات وقدرات آدم عليه السلام أو الخليفة من بعده، بل كان الاستشكال عندهم في طبيعة عمل هذا الخليفة الذي هو من جنس يقتل بعضهم بضعاً ويسفكون الدماء. فالله سبحانه وتعالى هو الذي علم آدم ولم يتعلم بنفسه، ومن باب آخر أين يكمن الرد الحكيم على وصف الملائكة الكرام بأن الخليفة ممن يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض؟ بل أن الأسماء التي علمها لآدم هي أسماء الخيرة من بني آدم وصفوته سبحانه وتعالى منهم ممن يتصدون للفساد في الأرض وينهون عن سفك الدماء ويقيمون العدل ويؤدون الحق ويأمرون بالإصلاح ألا وهم الأنبياء والرسل والصالحون وهم الذين أرادهم الله سبحانه وتعالى بقوله خليفة. وقد أجد في الحديث التالي شواهد على ما أقول فلا يكون رأي مجرد رأي لا برهان ولا دليل عليه: فعن هشامِ بنِ العاصِ الأُمويِّ قال : بُعثتُ أنا ورَجلٌ آخرَ إلى هِرَقلَ صاحبِ الرومِ نَدعوه إلى الإسلامِ ، فخرجنا حتَّى قدِمنا الغوطةَ يَعني غوطةَ دمشقَ فنزَلنا على جَبلةَ بنِ الأيهمِ الغسَّانيِّ ، فدَخلنا عليهِ ، فإذا هوَ علَى سريرٍ لهُ ، فأرسل إلينا برَسولٍ نكلِّمُه ، فقُلنا : واللَّهِ لا نكلِّمُ رسولًا، إنَّما بُعِثنا إلى المَلِكِ، فإن أذِنَ لنا كلَّمناه، وإلا لَم نكلِّمِ الرَّسولَ، فرجع إليهِ الرَّسولُ فأخبرَه بذلكَ، قال: فأذِنَ لنا فقال: تكلَّموا: فكلَّمَه هشامُ بنُ العاصِ، ودعاه إلى الإسلامِ ، فإذا عليهِ ثيابُ سَوادَ فقال لهُ هشامٌ ، وما هذهِ الَّتي عليكَ؟ فقال: لبِستُها وحلفتُ أن لا أنزِعَها حتَّى أُخْرِجَكُم مِنَ الشَّامِ . قلنا: ومَجلِسَك هذا، واللهِ لَنأخذَنَّه مِنكَ، ولنأخذَنَّ مُلْكَ المَلِكِ الأعظمِ، إن شاء الله، أخبَرَنا بذلك نبيُّنَا صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّم. قال: لستُم بِهِم. بل هم قومٌ يَصومونَ بالنَّهارِ ويَقومونَ باللَّيلِ ، فكيف صومُكم ؟ فأخبرناهُ ، فمُلِئَ وجهُه سَوادًا فقالَ: قوموا وبعَث معنا رسولًا إلى المَلِكِ ، فخرَجنا، حتَّى إذا كنَّا قريبًا من المدينةِ، قال لنا الَّذي معَنا: إنَّ دوابَّكم هذهِ لا تَدخُلُ مدينةَ المَلِكِ، فإن شئتُم حَملناكُم على براذينَ و بِغالٍ ؟ قُلنا، واللهِ لا ندخلُ إلَّا علَيها . فأرسَلوا إلى المَلِكِ أنَّهم يأبَوْنَ ذلكَ فدخَلنا على رواحِلِنا مُتقلِّدِينَ سيوفَنا، حتَّى انتهَينا إلى غُرفةٍ، فأنَخْنَا في أصلِها وهوَ ينظرُ إلينا، فقُلنا: لا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، فاللهُ يعلمُ قد تنقَّضَتِ الغُرفةُ حتَّى صارَت كأنَّها عِذقٌ تَصفِقُهُ الرِّياحُ. فأرسلَ إلَينا : ليسَ لكم أن تجهَرُوا علَينا بدِينِكُم، و أرسلَ إلَينا: أن ادخُلوا ،فدخَلنا عليهِ وهوَ على فِراشٍ له، وعندَه بطارقتُه مِن الرُّومِ، وكلُّ شيءٍ في مجلِسِهِ أحمرُ، و ما حولَه حُمرةٌ، وعليهِ ثيابٌ من الحُمرةِ، فدَنَونا منه فضحِكَ، فقالَ: ما كان عليكُم لَو حيَّيتمُوني بتحيَّتِكُم فيما بَينكُم ؟ وإذا عندَه رجلٌ فَصيحٌ بالعربيةِ كثيرُ الكَلامِ، فقُلنا: إنَّ تحيَّتَنا فيما بينَنا لا تحلُّ لك، و تحيَّتُكَ الَّتي تُحَيِّي بِها لا تحلُّ لنا أن نُحيِّيَكَ بِها. قال: [كيف] تحيَّتُكم فيما بينَكم ؟ قلنا : السَّلامُ عليكَ . قالَ : وكيفَ تُحيُّونَ مَلِكَكُمْ ؟ قُلنا: بها قال: وكيف يَردُّ عليكُم ؟ قُلنا: بِها. قال :

فما أعظمُ كلامُكُم؟ قُلنا: لا إلهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ. فلمّا تكلّمنا بها و اللهُ يعلَمُ لقد تنقّضتِ الغرفةُ حتّى رفَعَ رأسَه إليها، قال: فهذِهِ الكَلِمةُ الّتي قلتُموها حيثُ تنقّضَتِ الغُرفةُ، كلّما قُلتُموها في بيوتِكم تنقّضَتْ عليكم غُرَفُكُم ؟ قُلنا: لا، ما رأيناها فعَلَت هذا قطُّ إلّا عِندَكَ قالَ : لوددِتُ أنَّكُم كلّما قلتُم تنقّضَ كلُّ شيءٍ عليكُم. وأنّي خرجتُ من نِصفِ مُلْكِي . قُلنا: لَمِ ؟ قال: لأنَّهُ كانَ أيسرَ لشأنِها، وأجدرَ ألّا تكونَ مِن أمرِ النُّبَوَّةِ ، وأنها تكونُ من حِيَلِ النّاس. ثمّ سألَنا عمّا أرادَ، فأخبَرناهُ. ثمّ قال : كيف صلاتُكم وصومُكم ؟ فأخبرناهُ . فقال: قوموا. [فقُمنا] فأمر لنا بمنزلٍ حسَنٍ ونُزُلٍ [كثيرٍ] ، فأقمنا ثلاثًا ، فأرسل إلَينا ليلًا فدخَلنا عليهِ، فاستعادَ قولَنا، فأعَدناهُ . ثمّ دعا بشَيءٍ كهيئةِ الرّبعةِ العَظيمةِ مذهَّبَةً ، فيها بيوتٌ صِغارٌ علَيها أبوابٌ، ففَتح بيتًا وقُفلًا، فاستخرج حريرةً سوداءَ، فنشَرها، فإذا فيها صورةٌ حمراءُ، وإذا فيها رجلٌ ضخمُ العينيْنِ عظيمُ الأليتيْنِ، لَم أر مثلَ طولِ عنقِه، وإذا ليسَت لهُ لِحيةٌ، وإذا لَهُ ضَفيرتان أحسنَ ما خلق اللهُ . قال : أتعرِفون هذا ؟ قُلنا: لا. قال: هذا آدمُ عَليهِ السَّلامُ: و إذ هوَ أكثرُ النّاسِ شَعرًا. ثمّ فتح بابًا آخَرَ ، فاستخرج منه حَريرةً سوداءَ، وإذا فيها صورةٌ بيضاءُ، وإذا لهُ شَعْرٌ [كشعرِ] القِططِ ، أحمرَ العينيْنِ، ضخمَ الهامةِ، حسَنَ اللحية، فقال : أتعرفون هذا ؟ قُلنا: لا. قال: هذا نُوحٌ عليهِ السَّلام. ثمّ فتح بابًا آخرَ، فاستخرجَ حريرةً سوداءَ، وإذا فيها رجلٌ شديدُ البياضِ ، حسَنَ العينيْنِ صلتَ الجبينِ، طويلَ الخدِّ، أبيضَ اللحيةِ كأنَّهُ يبتَسِمُ، فقال: أتعرِفونَ هذا قُلنا: لا. قال: هذا إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ. ثمّ فتح بابًا آخرَ فإذا فيهِ صورةٌ بيضاءُ، وإذا و اللهِ رَسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وسلّم، فقال: أتعرفون هذا ؟ قُلنا: نعَم ، مُحمَّدٌ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ قال: وبَكَيْنا. قال: و اللهُ يعلَمُ أنَّهُ قام قائمًا ثمّ جلَس، وقال: و اللهِ إنَّهُ لهوَ؟ قُلنا: نعَم إنَّهُ لهُوَ ،كأنَّكَ تنظرُ إليهِ. فأمسكَ ساعةً ينظرُ إليها، ثمّ قال: أمّا إنَّهُ كان آخرَ البُيوتِ، ولكنّي عجّلْتُه لكُم لأنظرَ ما عِندَكم. ثمّ فتح بابًا آخرَ، فاستخرج منه حريرةً سوداءَ، فإذا فيها صورةٌ أدماءَ سحماءَ، وإذا رجلٌ جعدٌ قَطَطٌ، غائرُ العينيْنِ،حديدُ النَّظر، عابِسٌ متراكبُ [الأسنانِ] مقلّصُ الشّفةِ كأنَّهُ غَضبانٌ، فقال: هل تعرِفون هذا؟ قلنا: لا قال: هذا موسَى عليهِ السَّلام. وإلى جانبِه صورةٌ تُشبِهُه،إلا أنَّه مُدهانٌّ الرأس، عَريضُ الجبينِ، في عينيه قَبلٌ، فقال: هل تعرِفونَ هذا : قُلنا: لا قالَ : هذا هارونُ بنُ عِمرانَ عليهِ السَّلامُ . ثمّ فتح بابًا آخر، فاستخرج منه حريرةً بيضاءَ ، فإذا فيها صورةُ رجُلٍ آدَمَ سبطٍ ربعةٍ. كأنَّهُ غضبانُ،فقالَ: هل تعرفونَ هذا؟ قُلنا: لا قال: هذا لُوطٌ عليهِ السَّلامُ. ثمّ فتح بابًا آخرفاستخرَجَ منه حريرةً بيضاءَ، فإذا فيها صورةُ رجلٍ أبيضَ مُشرَبٌ حُمرةً، أقنَى، خفيفَ العارضيْنِ حسنَ الوجهِ ، فقال : هل تعرفونَ هذا ؟ قُلنا : لا. قال: هذا إسحاقُ عليهِ السَّلامُ . ثمّ فتح بابًا آخر، فاستخرَجَ حريرةً بيضاءَ، فإذا فيها صورةٌ تُشبِهُ إسحاقَ، إلّا أنَّهُ على شَفَتِه خالٌ، فقالَ : هل تعرِفون هذا ؟ قُلنا: لا قال: هذا يَعقوبُ عليهِ السَّلام. ثمّ فتح بابًا آخر، فاستخرَجَ منه حريرةً سوداءَ فيها صورةُ رجلٍ أبيضَ حسَنَ الوجهِ، أقنَى الأنفِ، حسَنَ القامة، يعلو

في وجهه نورٌ، يُعْرَفُ في وجهه الخُشوعُ،يضربُ إلى الحمرةِ قال: هل تعرفون هذا ؟ قلنا: لا قال: هذا إسماعيلُ جدُّ نبيّكم عليهما السَّلامُ. ثمَّ فتح بابًا آخرَ، فاستخرَج منه حَريرةً بيضاءَ فيها صورةٌ كأنَّها آدَمُ عليهِ السَّلامُ كأنَّ وجهَه الشَّمسُ، فقال: هل تعرفونَ هذا ؟ قُلنا: لا قال: هذا يوسُفُ عليهِ السَّلامُ. ثمَّ فتح بابًا آخر، فاستَخرجَ منه حريرةً بيضاءَ، فإذا فيها صورةُ رجلٍ أحمرَ حَمِشِ السَّاقيْن،أخفش العَينيْن، ضَخمَ البَطنِ ربعةٍ متقلِّد سيفًا، فَقالَ: هل تعرفونَ هذا ؟ قُلنا: لا قال : هذا داودُ عليهِ السَّلامُ. ثمَّ فتح بابًا آخرَ، فاستَخرج حريرةً بيضاءَ، فيها صورةُ رجلٍ ضخمِ الأليتيْنِ، طويلِ الرِّجليْنِ ، راكبٍ فرسًا ،فقال : هل تعرفونَ هذا؟ قلنا: لا قال: هذا سُلَيمانُ بنُ داودَ عليهما السَّلامُ . ثمَّ فتح بابًا آخر، فاستخرَجَ منه حريرةً سوداءَ، فيها صورةٌ بيضاءُ، وإذا شابٌّ شديدُ سَوادِ اللِّحيةِ، كثيرُ الشَّعْرِ،حسنُ العينينِ، حَسنُ الوجهِ فقالَ : هل تعرفون هذا؟ قُلنا: لا قال: هذا عيسَى بنُ مريمَ عليهِ السَّلامُ، قُلنا: من أينَ لكَ هذهِ الصُّورُ؟ لأنَّا نَعلمُ أنَّها على ما صوِّرْتَ عليهِ الأنبياءَ عليهِ السَّلامُ، لأنَّا رأينا صورةَ نبيِّنا عليهِ السَّلامُ مِثلَه ،فقال : إنَّ آدمَ عليهِ السَّلامُ سأل ربَّهُ أن يُريهِ الأنبياءَ من ولَدِه ،فأنزلَ عليهِ صوُرَهُم، فكانَ في خزانةِ آدمَ عليهِ السَّلامُ عند مَغربِ الشَّمسِ، فاستخرَجَها ذو القَرنينِ من مغربِ الشَّمسِ فدفَعها إلى دانيالَ ثمَّ قال: أمَا و اللهِ إنَّ نفسي طابَت بالخروجِ من مُلكي وإنِّي كُنتُ عبدًا لأشرِّكُم مَلَكةً، حتَّى أموتُ. ثمَّ أجازَنا فأحسنَ جائزتَنا، وسرَّحَنا، فلمَّا أتينا أبا بكرٍ الصديقَ رضيَ اللهُ عنهُ [فحدَّثناه بما أرانا، وبما قالَ لَنا، و ما أجازَنا، قال: فبكى أبو بكرٍ] و قال: مِسكينٌ ! لَو أراد اللهُ بهِ خيرًا لفَعلَ. ثمَّ قال: أخبرَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ أنَّهم واليَهودُ يجِدونَ نَعتَ محمَّدٍ صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّمَ عندَهُم .
رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه .المحدث ابن كثير واسناده لا بأس به. خرجه البيهقي في دلائل النبوة.
فما بالنا نهيم هنا وهناك بحثاَ عن الأسماء التي علمها الله سبحانه لآدم ليبين للملائكة حكمة الحكيم العليم أن يجعل من ذرية آدم عليه السلام ومنه خليفة يسد بهم سبل الفساد في الأرض ويدرأ السيئة بالحسنة ويضيء مشارقها ومغاربها بالعدل والقسط والحق ، ولا تعرف الأشياء إلا بضدها ولا يعرف الحق إلا بالباطل، والعدل بالجور. لذا كانت حكمة الرحمن تعالى أن يكون من ذرية آدم من يعدل بالحق ومنهم من يتبع هواه فيكون ممن وصفتهم الملائكة بالمفسدين في الأرض والله أعلم.